الفصل الثالث

محاولات لتصحيح المسار

مما لا شك فيه ان المسيح جاء يدعو الى التوحيد والبر والايمان باليوم الآخر ، فتلك عقيدة كل المؤمنين بالله ،عقيدة **الحق والرحمة والايمان** التى تضمن الخير للانسان فى هذه الحياة ، وتقوده فى طريق السلام الأبدى فى الآخرة :

« وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك انت الاله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته » .

انحراف المسار :

ثم رحل المعلم وترك التلاميذ والأتباع بعد ان أوصاهم كثيرا ان يسيروا على خطاه . وما هى الا بضع سنوات حتى التصق بهم شاول (بولس) زاعما انه قد صار منهم بعد ان ظهر له المسيح فى رؤيا نهارية :

« ولما جاء شاول الى اورشليم ، حاول ان يلتصق بالتلاميذ . **وكان الجميع يخافونه ، غير مصدقين انه تلميذ . فاخذه برنابا وأحضره** الى الرسل ـ اعمال ٩ : ٢٦ ـ ٢٧ ».

لكنه لم يلبث ، بعد ان توطد مركزه فى مجتمع التلاميذ ، ان تشاجر مع برنابا ، الرجل الصالح الممتلىء من الروح القدس والايمان (اعمال ١١ : ٢٤) ، والذى كان له فضل تقديمه للتلاميذ :

« فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق احدهما الآخر ـ اعمال ١٥:٣٩ ».

وكان ذلك ايذانا باختفاء اسم برنابا وجهوده فى الدعوة ، من سفر اعمال الرسل .

كما اختفى من قبل اسم بطرس ـ الذى عينه المسيح راعيا لتلاميذه ـ وانقطع ذكره منذ الاصحاح الثانى عشر من سفر أعمال الرسل ، حيث تشاجر معه بولس ، كما سبق ان فعل مع برنابا .

« لما اتى بطرس الى انطاكية قاومته مواجهة ـ غلاطية ٢ : ١١ » .

ولقد ترتب على قيادة بولس لحركة التبشير المسيحى ان تغير المسار بعيدا ، بعيدا ، عن خطى المسيح .

*

تعاليم بولس :

يتفق العلماء ـ بوجه عام ـ على ان تعاليم بولس تخالف تعاليم المسيح ، التى جاءت فى الأناجيل ورسائل التلاميذ ، وذلك فى نقاط هامة واساسية .

يقول فريدرك جرانت : **« من الواضح أن كلا من بولس الهللينى ، ومتى المبشر اليهودى ، له وجهة نظر تخالف الآخر فيما يتعلق باعمال يسوع وتعاليمه »(١) .**

ويقول تشارلز دود : **« ان الرسائل (البولسية) كثيرا ما تعارض الأناجيل »(٢) .**

ويقول هنتر : **« ان رسالة يعقوب تظهر معارضة لتعاليم بولس فى نوال البر بالايمان »(٣) .**

واذا تركنا هذا الاجمال ، وذهبنا لبيان ذلك بالتفصيل ، لتطلب هذا العمل مساحة كبيرة من صفحات هذا الكتاب ، وهو شىء لا يتفق وما جاء فى مقدمته من محاولات التبسيط والايجاز .

ولهذا نكتفى الآن بالحديث عن موضوعين يرتبطان معا هما : **موقف** بولس من الناموس ، وتعاليمه فى نوال البر والمغفرة .

*

---

(١) — F. Grant : Our Gospels, Faber & Faber. London, p. 141 .

(٢) — C. Dodd:The Meaning of Paul for Today, Fontana Books, London , p. 16 .

(٣) — A. Hunter : Paul and his Predecessors , SCM Press, London, p. 111 . .

بولس والناموس :

قال المسيح فى بدء دعوته : « **لا تظنوا انى جئت لأنقض الناموس او الأنبياء** . ما جئت لأنقض بل لأكمل .

فانى الحق اقول لكم الى ان تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى اصغر فى ملكوت السموات . واما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات ـ متى ٥ : ١٧ ـ ١٩ » .

وفى ختام دعوته : « خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . **فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب اعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون ـ متى ٢٣ : ١ ـ ٣ » .**

لكن بولس نقض هذه الوصايا وعلم الناس ابطال الناموس ، فحق عليه ان يدعى اصغر فى ملكوت السموات :

« باعمال الناموس لا يتبرر جسد ما ..

« جميع الذين هم من اعمال الناموس هم تحت لعنة ..

« قد تبطلتم عن المسيح ايها الذين تتبررون بالناموس . سقطتم من النعمه ـ غلاطية ٢ : ١٦ ، ٣ : ١٠ ، ٥ : ٤ » .

*

نوال البر بين الايمان والعمل :

دعا المسيح الى العمل ، وبين ان الايمان وحده لا يكفى . وفى هذا تقول موعظته حين نزل معهم ووقف فى **موضع سهل** هو وجمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب :

« كل من يأتى الى ويسمع كلامى **ويعمل به** ، اريكم من يشبه . يشبه انسانا بنى بيتا وحفر وعمق ووضع الأساس على الصخر . فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت فلم يقدر ان يزعزعه لأنه كان مؤسسا على الصخر .

واما الذى يسمع ولا يعمل فيشبه انسانا بنى بيته على الأرض من دون اساس . فصدمه النهر فسقط حالا ، وكان خراب ذلك البيت عظيما ـ لوقا ٦ : ٤٧ ـ ٤٩ » .

وهذا يعقوب يقول فى رسالته : « ما المنفعة يا اخوتى ان قال احد ان له ايمانا ولكن ليس له اعمال . هل يقدر الايمان ان يخلصه ؟ !

ان كان اخ واخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى ، فقال لهما احدكم امضيا بسلام ، استدفئا واشبعا ، ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد ، فما المنفعة ؟ !

هكذا الايمان ايضا ، ان لم يكن له اعمال ميت فى ذاته ..

انت تؤمن ان الله واحد . حسنا تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون .

ولكن هل تريد ان تعلم ايها الانسان الباطل ان الايمان بدون اعمال ميت .

انه بالأعمال يتبرر الانسان ، لا بالايمان وحده ..

الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى : افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم وحفظ الانسان نفسه بلا دنس من العالم ـ يعقوب ٢ : ١٤ ـ ٢٤ ، ١ : ٢٧ » .

لكن بولس يخالف ذلك ، ويجعل نوال البر والخلاص رهنا على الايمان :

« نعلم ان الانسان لا يتبرر باعمال الناموس ، بل بايمان يسوع المسيح ، آمنا نحن ايضا بيسوع المسيح لنتبرر بايمان يسوع ، لا باعمال الناموس ـ غلاطية ٢ : ١٦ » .

« كما هو مكتوب : اما البار فبالايمان يحيا ـ رومية ١ : ١٧ » .

« بر الله بالايمان بيسوع المسيح الى كل وعلى كل الذين يؤمنون ..

اذن نحسب ان : الانسان يتبرر بالايمان بدون اعمال الناموس ـ رومية ٣ : ٢٢ ، ٢٨ » .

« اما الذى يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة ، بل على سبيل دين .

وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر ، فايمانه يحسب له برا ـ رومية ٤ : ٤ »

« ليس لى برى الذى من الناموس ، بل الذى بايمان المسيح ، البر الذى من الله بالايمان ـ فيلبى ٣ : ٩ » .

لكن أخطر ما قاله بولس هو أن جعل كل الناس مشتركين فى خطيئة ابيهم آدم الأولى ـ حين عصى وأكل من الشجرة وعوقب على ذلك بالطرد فورا من الجنة ـ وان تلك الخطيئة هى سبب الموت الجسدى الذى يحل بالانسان !

وهنا يقفز الى الذهن سؤال : ما بال الحيوان والطير والنبات يموت ؟ هل أخطأ جده ـ أو أصله ـ الأول ؟ !

يقول بولس : « كانما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم ، وبالخطية الموت . وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس ، اذ أخطأ الجميع ..

قد ملك الموت من آدم الى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم ـ رومية ٥ : ١٢ ـ ١٤ » .

وفى هذا يقول وليم باركلى : « لقد كان كل الناس ، حسب تفكير بولس ، متورطين فى خطيئة آدم ، فهذا هو لب الاصحاح الخامس من رسالته الى اهل رومية .

لقد رأى بولس ان الخطيئة لم تحدث موتا روحيا وأخلاقيا فحسب ، بل أحدثت كذلك الموت الجسدى . فمن تعاليم بولس انه اذا لم توجد الخطية فلا يوجد الموت »(٤) .

ويقول تشارلز دود : « كيف جاءت الخطيئة الى الطبيعة البشرية ؟ هذا سؤال لا يعطى عنه بولس اجابة كافية .

فهو تارة يرجع ذلك الى خطيئة تاريخية ارتكبها جد الانسانية (آدم) فى غابر الزمان .. لكنا نجد بولس فى بعض الفقرات يقترح مصادر اخرى لخطيئة البشر . فقد كانت خلفية عالمه المعاصر تعتقد بوجود

---

(٤) — William Barclay : The Mind of St. Paul, Fontana Books, London, pp. 138, 142 .

حكام العالم من الأرواح الجوهرية (القوى الخفية) .. واذا خضع الانسان لسلطان تلك الأرواح ، فانه يكون قد وصل الى حالة شاذة من العبودية .

واذا كان القول بتناقل البشر لخطيئة آدم يمثل عقيدة يهودية ، فان القول بنظرية الأرواح الجوهرية ياتى بالأحرى من الأفكار الاغريقية ، ولو أن أيا منهما لا يقنعنا بشيء »(٥) .

*

لقد ورث بنو اسرائيل عقيدة التضحية بالأبناء تكفيرا عن الخطايا وارضاء للآلهة ، من جملة ما ورثوه عن جيرانهم من القبائل الوثنية . فقد التصق الاسرائيليون بتلك القبائل وصاهروها ونقلوا عنها كل رجس ، بما فى ذلك معبوداتهم الوثنية التى قدموا لها القرابين ، ومن بينها احراق اولادهم فى النار ،اطفاء لغضبها .

« عمل بنو اسرائيل سرا ضد الرب الههم أمورا ليست بمستقيمة ..

عبدوا الأصنام ، ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم .. وساروا وراء الباطل ، وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم ، الذين امرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم ..

وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار . .

فغضب الرب جدا على اسرائيل ونحاهم من امامه ـ الملوك الثانى ١٧ : ٩ ـ ١٨ » .

لقد كانت فكرة التضامن فى الخطية تلح على التفكير الاسرائيلى الذى انحط حين انحرف عن تعاليم موسى والأنبياء . وكانوا يقولون بتحميل الأبناء اوزار الآباء . ولذلك جاءهم النذير والتبكيت وحيا من الله على لسان حزقيال ، يقول :

« انتم تقولون : لماذا لا يحمل الابن من اثم الأب ؟ !

ها كل النفوس هى لى : نفس الأب كنفس الابن . كلاهما لى .. النفس التى تخطىء هى تموت .

(٥) — C. H. Dodd : The Meaning of Paul for Today. pp. 62 — 63.

الابن لا يحمل من اثم الأب ، والأب لا يحمل من اثم الابن ٠

بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون ٠

فاذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها ، وحفظ كل فرائضى، وفعل حقا وعدلا ، فحياة يحيا ٠ لا يموت ٠٠

هل مسرة أسر بموت الشرير ؟ ! يقول السيد الرب ٠ الا برجوعه عن طرقه ، فيحيا ٠

انى لا أسر بموت من يموت ، يقول السيد الرب ٠

فارجعوا وأحيوا ـ حزقيال ١٨ : ٤ ـ ٣٢ » ٠

ان هذا القول الحق والعدل ليهدم نظرية بولس ـ فى توريث الناس خطيئة ابيهم آدم ـ من أساسها ، ويهدم ، بالتالى ، مشروعه الذى اقترحه للصفح عن تلك الخطيئة : بقتل المسيح ـ رغما عنه ـ وسفك دمه على الصليب ، لكى تتم المصالحة بين الله والناس !

يقول بولس :

«ونحن اعداء قد **صولحنا مع الله بموت ابنه** ـ رومية ٥ : ١٠ »

« يسوع المسيح الذى **قدمه الله كفارة** بالايمان بدمه لاظهار بره **من اجل الصفح عن الخطايا السالفة** ـ رومية ٣ : ٢٥ » ٠

وانتهى المطاف ببولس ان جعل المسيح لعنة :

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، **اذ صار لعنة من اجلنا ، لانه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة** ـ غلاطية ٣ : ١٣ »

وما قصده بولس هنا هو ما تقوله توراة موسى بلعن المصلوبين :

« اذا كان على انسان خطية حقها الموت ، فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم ٠

لأن المعلق ملعون من الله ـ تثنية ٢١ : ٢٢ ـ ٢٣ » ٠

لقد بدات مسيحية بولس وانتهت بقتل المسيح على الصليب ، ولا شىء غير هذا ، اذ انه قرر مسبقا الا يعلم عن المسيح وتعاليمه سوى ذلك :

« انى لم اعزم ان اعرف شيئا بينكم الا يسوع المسيح واياه مصلوبا ـ (١) كورنثوس ٢ : ٢ » ٠

ويزعم بولس ان قتل المسيح على الصليب كان عملا تطوع به المسيح نفسه :

« يوجد اله واحد ، ووسيط واحد بين الله والناس : **يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع** ـ (١) تيموثاوس ٢ : ٥ ـ ٦ » .

لكن الأناجيل ، وخاصة فى عرضها لمشاهد معاناة المسيح وصلاته فى الحديقة ، تبين بوضوح ان فكرة قتله كانت تسبب له رعبا يصل الى حد الانهيار .

ان نظرية بولس هذه لا تستطيع الصمود ـ ولو للحظة واحدة ـ امام ما تقوله الأناجيل ، ونذكر منه :

« اجابهم يسوع وقال : تعليمي ليس لى ، بل للذى ارسلنى . .

لماذا تطلبون ان تقتلونى ..

انا عالم انكم ذرية ابراهيم . لكنكم تطلبون ان تقتلونى لأن كلامى لا موضع له فيكم ..

ولكنكم الآن تطلبون ان تقتلونى وانا انسان قد حدثكم بالحق الذى سمعه من الله .. هذا لم يعمله ابراهيم . .

انتم من اب هو ابليس وشهوات ابيكم تريدون ان تعملوا ـ يوحنا ٧ : ١٤ ـ ١٩ ، ٨ : ٣٧ ـ ٤٤ » .

« وكان يسوع يتردد بعد هذا فى الجليل ، **لأنه لم يرد ان يتردد فى اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون ان يقتلوه** ـ يوحنا ٧ : ١ » .

وفى الحديقة ، مع تلاميذه :

« ابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت .. ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان امكن . وقال يا ابا الآب كل شىء مستطاع لك . فاجز عنى هذه الكاس ..

وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه .

وظهر له ملاك من السماء يقويه ، واذ كان فى جهاد ، كان يصلى باشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض . مرقس ١٤ : ٣٤ ـ ٣٦ ، لوقا ٢٢ : ٤٣ ـ ٤٤ »

وفى المحاكمة ، كان ذلك الذى قبضوا عليه يرجو ان يطلقوه :

« اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة واصعدوه الى مجمعهم قائلين : ان كنت انت المسيح فقل لنا .

فقال لهم : ان قلت لكم لا تصدقون . وان سالت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى ـ لوقا ٢٢ : ٦٦ ـ ٦٨ » .

واخيرا نصل الى الشهادة التى تنسبها الاناجيل للمصلوب فى الرمق الأخير ، وهى ما تعرف باسم : صرخة اليأس على الصليب .

من يسمع قول مصلوب يصرخ الى الهه : « بصوت عظيم قائلا : الوى ، الوى ، لما شبقتنى ، الذى تفسيره : **الهى ، الهى ، لماذا تركتنى** ـ مرقس ١٥ : ٣٤ » ، من يسمع هذا القول ثم يقول ان المسيح :

« **بذل نفسه** لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير » وانه « **بذل نفسه فدية لأجل الجميع** » ؟ !

هل كان المسيح يجهل رسالته التى جاء من اجلها ، ولم يكتشفها الا بولس ؟ !

حاشى لله !

لقد كان المسيح يدعو الى : الرحمة والمغفرة ، وينكر الذبيحة ، اذ يقول :

« اذهبوا وتعلموا ما هو . **انى اريد رحمة لا ذبيحة** ـ متى ٩ : ١٣ » .

« ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون .. تركتم اثقل الناموس : **الحق والرحمة والايمان** ـ متى ٢٢ : ٢٣ » .

❋ ❋

حقيقة بولس :

فى دراسة **للكاردينال دانيلو** عما يسمى بالمسيحية اليهودية او المسيحية الأولى ، نجده يقول :

« كونت **مجموعة الحواريين** الصغيرة بعد المسيح طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها ..

انهم يعتبرون بولس كخائن ، وتصفه وثائق مسيحية يهودية **بالعدو** ، وتتهمه بتواطؤ تكتيكى . **ولكن المسيحية اليهودية كانت تمثل حتى عام ٧٠ م غالبية الكنيسة ، وكان بولس منعزلا فى ذلك الوقت .**

كان رئيس الجماعة يعقوب قريب المسيح ، وكان معه (فى البداية) بطرس ثم يوحنا . ويمكن اعتبار يعقوب دعمود المسيحيه اليهودية ، الذى ظل عن ارادة ملتزما بخط اليهودية امام المسيحية البولسية ..

ان اسرة المسيح تحتل مكانة كبيرة فى هذه الكنيسة المسيحية اليهودية بالقدس .لم تكن المسيحية اليهودية سائدة فقط بالقدس وفلسطين طيلة القرن الأول للكنيسة ، فقد تطورت البعثة المسيحية اليهودية ، فيما يبدو ، فى كل مكان قبل البعثة البولسية ..

واذا كان بولس اكثر وجوه المسيحية موضعا للنقاش ، واذا كان قد اعتبر خائنا لفكر المسيح ، كما وصفته بذلك أسرة المسيح والحواريون الذين بقوا بالقدس حول يعقوب ، فذلك لأنه كون المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح حوله لنشر تعاليمه .

ولما لم يكن قد عرف المسيح فى حياته ، فقد برر لشرعية رسالته بأن اكد على ان المسيح بعد قيامته قد ظهر له على طريق دمشق »(٦) .

*

ويقول مايكل هارت فى كتابه : « المائة : قائمة باعظم الناس أثرا فى التاريخ » :

« ان المسيحية لم يؤسسها شخص واحد ، وانما اقامها اثنان : المسيح وبولس .

فالمسيح قد ارسى المبادىء الأخلاقية للمسيحية وكذلك نظرتها الروحية وما يتعلق بالسلوك الانسانى . اما مبادىء اللاهوت فهى من صنع بولس .

فالمسيح هو صاحب الرسالة المسيحية ، ولكن بولس اضاف اليها عبادة المسيح .

ان عددا من الباحثين يرون ان مؤسس الديانة المسيحية هو بولس ، وليس المسيح . وليس من المنطق فى شىء ان يكون المسيح نفسه مسئولا عما اضافته الكنيسة او رجالها الى الديانة المسيحية ، فكثير مما اضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه .

---

(٦) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة — موريس بوكاى — القاهرة — ص ٧١ — ٧٣ .

ان بولس هو الذى اوضح فكرة الخطيئة الأولى ، واعلن انه لا داعى للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية فى الطعام والطهارة ، ولا داعى للتمسك بتعاليم موسى ، لأن تطبيق ذلك ليس كافيا لخلاص الانسان . لكن المسيح لم يكن يبشر بشىء من هذا الذى قاله بولس الذى يعتبر المسئول الأول عن تاليه المسيح »(٧) .

نعم ! ان بولس هو الذى جعل المسيح الها ووضع بذرة الحديث عن لاهوت وناسوت ـ وما شاكل ذلك من افكار هللينية زخرت بها اساطير الاغريق والديانات السرية ـ وذلك فى رسائله التى كتبت وذاعت قبل كتابة اقدم الأناجيل باكثر من عشرين عاما . فهو القائل :

« المسيح .. الكائن على الكل الها مباركا الى الأبد ـ رومية ٥:٩ » .

« فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا ـ كولوسى ٢ : ٩ » .

والآن ، ونحن نبحث عن حقيقة بولس ناتى الى نقطة الانقلاب التى تصلح ان تكون بداية لهذا البحث كما انها تصلح ان تكون نهايته . الا وهى : قصة تحول بولس الى المسيحية .

يقول هيام ماكوبى فى كتابه : « صانع الأسطورة : بولس واختراع المسيحية » ، عند الحديث عن : « مشكلة بولس » :

« ان ما يخبرنا به سفر اعمال الرسل عن شاول (بولس) انه كان يسطو على الكنيسة ، وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم الى السجن (اعمال ٨ : ٣) .

لم نخطر ، عند هذه النقطة ، باى سلطة وباى اوامر كان يمارس شاول هذا الاضطهاد . من الواضح انه لم يكن مجرد اجراء يقوم به فرد من الناس من جانبه ، لأن ارسال الناس الى السجن لا يتم الا بواسطة موظف رسمى .

لا بد ـ اذن ـ ان يكون شاول قائما بهذا العمل نيابة عن سلطة ما ، ويمكن ادراك من كانت تلك السلطة ، من احداث لاحقة تبين ان شاول كان يتصرف باسم رئيس الكهنة .

(٧) مجلة « اكتوبر » ـ القاهرة ـ العدد ١٠٦ .

لكن اى شخص له دراية بالوضع الدينى والسياسى فى (ولاية) اليهودية فى ذلك الوقت ، ليشعر بوجود مشكلة هامة هنا ، ذلك ان رئيس الكهنة لم يكن فريسيا ، ولكنه كان صدوقيا . وكان للصدوقيين عداوة مريرة مع الفريسيين .

كيف يمكن لشاول ، بزعم انه فريسى غيور (فريسى ابن فريسى) ان يعمل هكذا بمنتهى الود مع رئيس الكهنة ؟

ان الصورة التى اعطيت لنا من مصادر عهدنا الجديد عن شاول ، والخاصة بحياته قبل تحوله الى (خدمة) يسوع ، انما هى متناقضة ومشكوك فيها .

وما نسمعه ثانية عن شاول (فى الاصحاح ٩) انه : كان ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب . **فتقدم الى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل** الى الجماعات (اليهودية) بدمشق ليفوضه اذا وجد اناسا رجالا ونساء من الذين تبعوا الطريق الجديد ان يسوقهم موثقين الى اورشليم .

ان هذا الحادث ملىء بالالغاز .

اذا كان لشاول مثل هذه القوة فى السطو على الكنيسة فى اليهودية ، فلماذا جاءته فكرة الذهاب الى دمشق للسطو على الكنيسة هناك ؟

ماذا كانت الضرورة الملحة لزيارة دمشق ؟

وبجانب هذا ، ما هى نوعية السلطة القضائية التى كانت لرئيس الكهنة على مدينة غير يهودية مثل دمشق ، والتى تمكنه من اعطاء اوامر بالقبض ، وتسليم مجرمين فى تلك المدينة ؟

وفوق هذا ، يوجد شىء محير تماما فى وصف العلاقة بين شاول ورئيس الكهنة ، كما لو كان شاول مواطنا غير حكومى يريد ان يكون القبض على المواطنين وفقا لخطة من تدبيره ، وهو يفاتح رئيس الكهنة لطلب السلطة بذلك .

من المؤكد انه كانت هناك صلة رسمية معينة بين رئيس الكهنة وشاول. ويبدو اكثر احتمالا ان الخطة كانت من صنع رئيس الكهنة ، ولم تكن من صنع شاول ، **وان شاول كان عميلا او جاسوسا سريا لرئيس الكهنة»(٨) .**

*

(٨) — Hyam Maccoby : The Myth Maker : Paul and The Invention of Christianity , Weidenfeld & Nicolson, London, 1986, pp. 7 — 8 .

بعد ذلك ناتى للحادثة التى يقال انها وقعت لشاول على طريق دمشق، وكانت الاساس الوحيد الذى قامت عليه دعوى قبوله المسيحية ثم اختياره رسولا من المسيح للتبشير بها ٠

يقول سفر اعمال الرسل ـ الذى كتبه لوقا ـ فى الاصحاح التاسع :

« فى ذهابه حدث انه اقترب الى دمشق فبغتة أبرق حوله نـور من السماء ٠ فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا : شاول ، شاول ، لمـاذا تضطهدنى ؟ فقال : من انت ياسيد ؟ فقال الرب : انا يسوع ٠٠

وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين : يسمعون الصـوت ولا ينظرون أحدا ـ ٩ : ٣ ـ ٧ » ٠

لكن سفر اعمال الرسل يعود ليروى هذه الحادثة مرة اخرى على لسان شاول نفسه ، فى الاصحاح الثانى والعشرين ، فيقول :

« حدث لى وانا ذاهب ومتقرب الى دمشق انـه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولى من السماء نور عظيم ٠ فسقطت على الارض وسمعت صوتا قائلا لى : شاول ، شاول ، لماذا تضطهدنى ؟ فاجبت : من انـت ياسـيد ؟ فقال لى : انا يسوع الناصرى الذى انت تضطهده ٠

والذين كانوا معى : نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسـمعوا صوت الذى كلمنى ـ ٢٢ : ٦ ـ ٩ » ٠

ان تناقض الشهادتين واضح ، ذلك ان المسافرين مع شـاول :

فى الشهادة الأولى : **سمعوا ـ ولم ينظروا** ٠

وفى الشهادة الثانية : **نظروا ـ ولم يسمعوا** ٠

ان تقديم شهادتين مثل هاتين ـ امام محكمة ابتدائية فى اى قضية، ولتكن حادثة بسيطة من حوادث السير على الطرق ، لكفيل برفضهمـا معـا ٠

فما بالنا ، اذا كانت القضية تتعلق بعقيدة ، يتوقف عليهـا المصير الأبدى للملايين من البشر !

*

نكتفى بهذا القدر من البحث فى حقيقة بولس ، مؤسس المسيحية التقليدية ، بعد ان اصبحت واضحة للعيان ٠

لقد كان بولس ـ فعلا ـ ضد المسيح ٠

* *

المسيحية الأولى كانت توحيدا :

تقول دائرة المعارف الأمريكية : « لقد بدأت عقيدة التوحيد ـ كحركة لاهوتية ـ بداية مبكرة جدا فى التاريخ . وفى حقيقة الأمر فانها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين ..

ان الطريق الذى سار من اورشليم (مجمع تلاميذ المسيح الأوائل) **الى نيقية** (حيث عقد المجمع المسكونى الأول عام ٣٢٥ لمحاولة الاتفاق على عقيدة مسيحية واحدة) **من النادر القول بانه كان طريقا مستقيما .**

ان عقيدة التثليث التى اقرت فى القرن الرابع الميلادى ، لم تعكس بدقة التعليم المسيحى الأول فيما يتعلق بطبيعة الله . لقد كانت ، على العكس من ذلك ، انحرافا عن هذا التعليم ، ولهذا فانها تطورت ضد التوحيد الخالص (*) . .

ان التوحيد هو القاعدة الأولى من قواعد العقيدة ، اما التثليث فانه انحراف عن هذه القاعدة ، لذلك نجد من الصواب أن نتكلم عن التثليث باعتباره حركة متأخرة ظهرت ضد التوحيد ، بدلا من اعتبار هذا الأخير حركة دينية جاءت لتقاوم التثليث .

ان اغلب المسيحيين لم يقبلوا التثليث ، ونجد ترتليان (٢٠٠ م) الذى كان أول من أدخل تعبير التثليث فى التفكير المسيحى ، مسئولا عن الفقرة التى تقول ان فى ايامه **كان غالبية الشعب ينظرون الى المسيح باعتباره انسانا »(٩) .**

* *

(*) Unitarianism as a theological movement began much earlier in History ; indeed it antedated trinitarianism by many decades. Christianity derived from Judaism and Judaism was strictly Unitarian. The road which led from Jerusalem to Nicea was scarcely a straight one. Fourth century Trinitarianism did not reflect accurately early Christian teaching regarding the nature of God; it was , on the contrary , a deviation from this teaching » .

(٩) — ENCYCLOPEDIA AMERICLANA , 1959. Vol. 27 , p. 294 .

الموحدون المسيحيون ناضلوا عبر التاريخ :

لقد عاش الموحدون المسيحيون عبر القرون ، منذ جاء المسيح وحتى اليوم ، وهم يؤمنون بالاله الواحد الأحد ربا ، وبالمسيح انسانا نبيا ورسولا ، ولا يخلطون بين الله والمسيح ، على اى صورة من الصور .

لقد كانت مسيحية التوحيد ـ كما قال الكاردينال دانيلو ـ سائدة خلال القرن الأول فى القدس وفلسطين حيث عاش بقية الحواريين واتباع المسيح، مثل بطرس ويوحنا ويعقوب . وكانت سائدة فى أماكن اخرى وجد فيها بولس مقاومات عنيفة لمسيحيته الصليبية مثل : انطاكية ، وغلاطية ، وكورنثوس ، وكولوسى ، وروما .

ولقد امكن اقتفاء آثارهم حتى القرن الرابع بالشرق وخاصة فى فلسطين ، والجزيرة العربية ، وما وراء الأردن ، وسوريا ، وما بين النهرين .

واذا كانت عقيدة التثليث قد اقتحمت المسيحية مؤخرا ، واخذت صيغة رسمية فى القرن الرابع الميلادى ، فما كانت تمثل الا فكر الأقلية الذى لا يمكن فرضه الا بسلطان الامبراطور الوثنى آنذاك قسطنطين .

ان نظرة سريعة على ملحمة الصراع فى القرن الرابع بين محاولات انقاذ بقايا التوحيد فى تعاليم المسيح ، الذى حمل لواءه آريوس ـ ولم يكن هو اول القائلين به ـ ضد فكرة التثليث التى قال بها اسكندر واثناسيوس ، لترينا حقيقة القول الذى نقلناه آنفا عن دائرة المعارف الأمريكية من ان : **اغلب المسيحيين لم يقبلوا التثليث** .

تقول المراجع المسيحية (١٠) :

« لما كان الاضطهاد الرومانى ضد المسيحية قد توقف ، فان السؤال عن لاهوت المسيح وناسوته بدأ يغلب فى كنيسة الاسكندرية . **لم يكن آريوس هو اول من اثاره ، اذ كان ذلك موضع جدل من قبل .**

كان آريوس شيخا لكنيسة بوكاليس ، وكان محترما فى المدينة ، نسب اليه الطهر والتقشف ، لطيف المعشر ، وذا خلق جذاب ، عرف بنشاطه الدينى ، كما اعترف به الأسقف الجديد اسكندر الذى تولى عام ٣١٣ .

---

(١٠) راجع كتاب المؤلف : طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة .

ان اندلاع المجادلات بين اسكندر وآريوس يكتنفه الغموض بسبب ما نجده من روايات متناقضة .. **واخيرا قرر اسكندر طرد آريوس من الكنيسة ، وكذلك عزل بعض المشايخ والشمامسة من الاسكندرية ، وبعض المطارنة من ليبيا .**

لكن هذا الاجراء لم يسكت آريوس ، فقد وجد دعما من كثيرين وخاصة ايزبيوس أسقف نيقوميديا .. **وبعد ان رجحت كفة آريوس وعضده** كل اساقفة الشرق ، فانه عاد ليستانف عمله بالاسكندرية .

لكن الجدل لم يقتصر على الأساقفة ورجال الدين ، بل تعداهم الى عامة الشعب .

وهنا أدرك الامبراطور قسطنطين خطورة تلك المحاولات التى بدات تمزق جميع الأقاليم الساحلية الشرقية لامبراطوريته ، فارسل خطابا الى كل من اسكندر وآريوس ، **وصف فيه الصراع بانه جدل عقيم حول اشياء غير مفهومة .بيد** ان الخطاب لم يكن له اى تاثير ، كما فشلت جهود **اسقف البلاط هوسيوس** ، الذى حمل الخطاب ، فى رأب الصدع ..

الا ان هوسيوس وصل الى تفاهم مع اسكندر ، ثم نصح الامبراطور بعقد مجمع عام فى نيقية ، كان لهوسيوس اكبر الأثر فى تحديد الصيغة المطروحة ، بعد ان كسب الامبراطور لوجهة نظره .

*

لقد كانت الصيغة التى قال بها اسكندر وهاجمها آريوس هى :

دائما اله ، دائما ابن وفى نفس الوقت اب ، وفى نفس الوقت ابن . الابن ازلى غير مخلوق ...

أما العقيدة التى عارض بها آريوس هذا القول فيغلب عليها الفكر التوحيدى من ان الاله الواحد الأحد ، هو الأزلى وحده . وان الابن ليس ازليا ، ولكنه خلق من خلق الله ، اوجده من العدم .

لقد كان آريوس واتباعه يقولون :

ـ الله ، الواحد الاحد ، القائم وحده ، هو الوحيد الذى لم يولد . ليس له بداية او نهاية ، لا يمكن ادراكه او التعبير عنه ، وليس له معادل او مكافىء على الاطلاق .

ـ ان الله لا يخرج شيئا من جوهره ولا يصل جوهره بما خلق ، لان جوهره غير مخلوق .

ـ وبالنسبة لجوهر الابن ، فانه تبعا لذلك لا يمت بادنى صلة لجوهر الآب ، وانما هو كائن مستقل ومنفصل تماما ، ومختلف عن الجوهر او الطبيعة الالهية .

اذ لو كان له نفس الجوهر لكان هناك الهان .

ان الأمر على العكس من ذلك ، فان الابن مثله مثل كل المخلوقات العاقلة له مشيئة حرة ومعرض للتغيير .

ـ وبما أن الابن لا يعزى جوهره الى الآب ، فهو ليس الها حقيقيا ، وبالتالى ليست له السجايا الالهية . انه ليس ازليا ، وليست معرفته بالله مطلقة ولكنها فقط معرفة نسبية .. **وبالتالى فانه لا يمكن ان يدعى المساواة فى المجد مع الآب .**

ـ ومع ذلك فان الابن ليس مخلوقا ومنتجا مثل بقية المخلوقات ، **اذ انه المخلوق الكامل .**

ـ وبين القوى المخلوقة ، فان الروح القدس يقف بجانب الابن ، **كجوهر ثان مستقل .**

*

وفى مجمع نيقية نجد ان : الامبراطور اطلق يد المجتمعين فى أول الأمر ، الا انه ما لبث أن وضع نهاية للمجادلات ، **واتخذ صفة عالم اللاهوت حين فسر بنفسه الصيغة التى يجب أن يوافق المجمع عليها .**

لقد قرر تحت تاثير هوسيوس (اسقف البلاط) ان يجبر الجميع على قبول الصيغة التى اتفق عليها هذا الأخير مع اسكندر .

لقد جاء الآريوسيون الى المجمع وهم على ثقة من النصر ، فلقد كان اسقف نيقية نفسه فى جانبهم ، لكن ارادة الامبراطور قررت الأمر ..

لقد ادين آريوس وضحى به . ولما كان الامبراطور قلقا على الحفاظ بيد من حديد على الوحدة التى كسبها ، فانه امر باحراق كتب آريوس ..

*

لم يستسلم الآريوسيون الى العقيدة التى فرضها الامبراطور قسطنطين باسم مجمع نيقية ، **ولكنهم صمموا على المقاومة حتى استطاعوا فى عام ٣٢٨ جعل الامبراطور يعيد آريوس واتباعه الى كنائسهم** . وفى ذلك الوقت كان اثناسيوس قد تولى كرسى كنيسة الاسكندرية بعد وفاة البطريرك اسكندر .

ولقد اعترض على تولى اثناسيوس كرسى كنيسة الاسكندرية ٣٥ اسقفا من مختلف محافظات مصر ، يتزعمهم ميلتوس اسقف اسيوط

الذى استمر على موقفه حتى توفى عام ٣٣٠ ، ثم خلفه فى رئاسة حزبه يوحنا اركاف الذى اشتهر بعدائه لاثناسيوس .

وقد بقى حزب ميلتوس قائما فى مصر بعد موت اركاف حتى القرن الخامس ، وكان يقوده بعض الرهبان .

*

ولقد حدث بعد قرار الامبراطور بعودة الآريوسيين ان قام **ايزبيوس اسقف نيقوميديا ، وتيوغنس اسقف نيقية بعقد مجمع فى انطاكية عام ٣٢٩** ، حكم على بعض الأساقفة الأرثوذكسيين بعزلهم من اسقفيتهم ، وكذلك حكم بتثبيت معتقد آريوس ، وبوجوب الاشتراك معه فى الخدمة .

وقد أحدث الآريوسيون القلائل فى مصر بتشجيع انصار ميلتوس الأسيوطى وكان اكثر اهل مصر آريوسيين ، فغلبوا على كنائس مصر ، ووثبوا على اثناسيوس بطريرك الاسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واختفى .

ولما اشتدت الأزمة بين اثناسيوس والآريوسيين ، قرر الامبراطور **عقد مجمع فى صور عام ٣٣٥ ، حضره كثيرون من الأساقفة الذين حضروا مجمع نيقية المسكونى الأول . واصدر المجتمعون قراراتهم : بخلع اثناسيوس من منصبه ، وقبول الميلتيين فى الكنيسة . وقد اعدوا العدة لدفن قرارات مجمع نيقية** . ولقد دعاهم الامبراطور الى القسطنطينية للمداولة ، وهناك نجحوا فى جعله يقرر نفى اثناسيوس الى تريفس فى جنوب غربى فرنسا .

*

وبعد وفاة الامبراطور قسطنطين عاد اثناسيوس الى الاسكندرية عام ٣٣٨ ، فثار عليه الآريوسيون ، ثم **عقدوا مجمعا فى انطاكية عام ٣٤٠ ، حكموا فيه بعزل اثناسيوس من كرسى كنيسة الاسكندرية** . وقد اضطر الى الهرب الى روما .

وفى عام ٣٤١ عقد فى انطاكية مجمع حضره ٩٧ اسقفا شرقيا ، سنوا مجموعة من القوانين تتفق والآريوسية ، وترفض افكار اثناسيوس .

لكن قسطنطينوس ـ احد ابناء الامبراطور ـ وقد اختص بايطاليا وافريقيا ـ أطلق سراح اثناسيوس الذى عاد الى الاسكندرية عام ٣٤٦ .

ولقد قاوم الآريوسيون عودة اثناسيوس ، وحدثت اضطرابات **عقد على اثرها مجمع فى مدينة آرلس بفرنسا عام ٣٥٣ ، تقرر فيه : خلع**

اثناسيوس من اسقفيته • وقد وقع على هذا القرار جميع الاساقفة الذين تشكل منهم المجمع ، ما عدا بولين اسقف تريفس • وكان فى مقدمة الموقعين اسقف رومية ، واسقف كابو ، واسقف كمبانيا بايطاليا • وقد احدث ذلك ضجة كبيرة فى الغرب •

ثم عقد مجمع فى مدينة ميلانو بايطاليا عام ٣٥٥ ، بأمر الامبراطور ، وكان مؤلفا من ٣٠٠ اسقف جلهم آريوسيون ، فحكموا بخلع اثناسيوس عدا نفر قليل منهم •

وقد اضطر اثناسيوس الى الفرار عام ٣٥٦ ، وتولى الاسقف جاورجيوس الآريوسى علىالكرسى السكندرى •

وفى عام ٣٥٧ عقد الآريوسيون مجمعا فى مدينة سرميوم فى جنوبى فرنسا ، برئاسة الأسقفين الغربيين اورزاس وفالانس ، وحضره الامبراطور قسطنطينوس بنفسه • وقد وضع ذلك المجمع صورة ايمان جديدة انكر فيها مساواة الابن لأبيه فى الجوهر •

وفى عام ٣٥٩ عقد الامبراطور مجمعين : اولهما فى مدينة ريمنى ، وخصه بالغربيين • والثانى فى مدينة سلوقية بسوريا ، حضر من اساقفة مصر الآريوسيين عشرة ، وقد خص الامبراطور هذا المجمع بالشرقيين •

وقد أيد كلا المجمعين الآريوسية كل التاييد • وهكذا باتت الكنيسة الغربية كلها آريوسية •

وقد تسبب مجمع ريمنى الغربى فى تعديل صيغة مجمع نيقية ، واعلن لواء الآريوسية فى العالم المسيحى كله •

وفى عام ٣٦١ قام الآريوسيون بعقد مجمع فى انطاكية ، وضعوا فيه : صيغة ايمان جديدة تعلم أن الابن غريب عن ابيه ، مختلف عنه فى الجوهر والمشيئة •

وقد تثبتت هذه العقيدة فى مجمع انعقد بالقسطنطينية فى نفس السنة ، وقام الآريوسيون بنشرها فى انحاء العالم ، ووضعوا ١٧ قانونا للايمان تخالف قانون مجمع نيقية » •

*

وفى وقفة للمراجعة نجد ان الآريوسية تعنى ببساطة : وحدانية الله مع عدم الخلط بينه وبين المسيح • فهى تقول ان الله هو الواحد

الأحد ، الذى تنزه عن الشريك والمثل . **وان المسيح مخلوق ، غير ازلى ،** صاحبته النعمة الالهية .

وان هذه العقيدة التى نسبت لآريوس ، لم يكن هو أول من اعتنقها ودعا اليها ، بل كانت قديمة قدم المسيحية .

ثم كانت الآريوسية هى عقيدة الغالبية العظمى من المسيحيين ، سواء أكانوا شيوخ الكنائس أو عامة الشعوب ، ومن قبل ان تعلن المسيحية دينا للدولة فى عهد قسطنطين ، ومن بعد ما اعلنت .

وما ان جاء منتصف القرن الرابع الميلادى حتى كانت الآريوسية هى عقيدة العالم المسيحى ، شرقه وغربه .

وترجع النكسة التى حولت المسيحية من التوحيد الى التثليث ، الى تدخل الأباطرة الرومان الذين كان همهم الأول والأخير هو تثبيت حكمهم وفرض السلام فى الامبراطورية وتطويع الدين لخدمة السياسة .

فها هو قسطنطين ودوره فى مجمع نيقية الذى قرر الوهية المسيح وازليته وانه من جوهر الله .

وهذا يوليانوس ـ ابن شقيقته ـ الذى تولى الامبراطورية عام ٣٦١ ، واعاد اثناسيوس الى كرسى الاسكندرية ، وكان خبيثا يطبق سياسة : فرق تسد ، فكان غرضه أن يقوم المسيحيون على بعضهم فتنحل عرى الوحدة المسيحية ولم يمض غير قليل حتى اسفر عن كفره ، فاغلق الكنائس ونهب اوانيها وسلمها للوثنيين وفتح معابدهم ، وجاهر بتجديد عبادة الأوثان وقدم بنفسه الضحايا لها .

ثم ها هو يوبيانوس ـ الذى خلف يوليانوس بعد موته عام ٣٦٣ ـ وكان معاديا للآريوسية ، فلم يلبث ان فرض عقيدته على الامبراطورية ، واقام على الولايات حكاما وفق مسيحيته ذات الثالوث ، وحرم مذهب الآريوسيين .

انه صراع طويل وعنيف بين الآريوسية ـ او بتعبير افضل : بقايا التوحيد فى مسيحية المسيح ـ وبين عقيدة الثالوث التى وفدت عليها من الديانات السرية القديمة .

واذا كانت الآريوسية لم يكتب لها النصر النهائى على المستوى الرسمى للدولة ، فان جهودها فى اصلاح مسار المسيحية ، وتصحيح الانحراف الذى حدث لها لم تذهب سدى . فقد بقيت جذورها قوية تنبت

بين الحين والحين وتثمر قطوفا من التوحيد يتمثل فى تلك «الحركات التوحيدية» و « الحركات المعادية للتثليث » التى استمرت عبر القرون واستطاعت ان تقيم « طائفة الموحدين » ، وهم مسيحيون من مختلف الشعوب والثقافات ، لهم كنائسهم المنتشرة فى اوروبا وامريكا ولهم مجموعة مبادىء نذكر منها :

« ـ ان كنيسة الموحدين تعتبر الكتاب المقدس تسجيلا قيما للخبرات الانسانية ، وهى تصر على أن كاتبيه كانوا معرضين للخطأ .

ـ ان الفرق التاريخى بين التوحيد والتثليث يأتى من حقيقة ان الموحدين طالما كانوا يؤمنون بوجود اله واحد ، فانهم يعتقدون أن الله اقنوم واحد بدلا من ثلاثة اقانيم . ان الثلاثة اقانيم تتطلب ثلاثة جواهر وبالتالى ثلاثة آلهة . ان الأسفار لم تعط اى مستند للاعتقاد فى التثليث . ان نظام الكون يتطلب مصدرا واحدا للشرح والتعليل ، لا ثلاثة ، لذلك فان عقيدة التثليث تفتقد اى قيمة دينية او علمية .

ـ لقد قدمت اعتراضات قوية ضد عقيدة لاهوت يسوع المسيح . ان الكتاب المقدس لم يقل بذلك ، كما ان يسوع فكر فى نفسه كزعيم دينى هو المسيا وليس كاله . وبالمثل اعتقد التلاميذ ان يسوع مجرد انسان ، اذ لو كان عند اى من بطرس او يهوذا اية فكرة عن ان يسوع اله ، لما كان هناك اى تفسير معقول لانكار بطرس ليسوع ، وما كان هناك تبرير لخيانة يهوذا . ان الانسان لا يمكن أن ينكر او يخون كائنا الهيا له كل القوى .

ـ ان الحقيقة المزعومة عن ان يسوع مات من أجل خطايانا وبهذا وقانا لعنة الله ، انما هى مرفوضة قطعا . ان الله يجب ألا يعرف عن طريق اللعنة ، بل عن طريق الحلم والمحبة . ان الموت الدموى على الصليب من أجل اطفاء لعنة الاله ، لهو امر مناقض للحلم الالهى والصبر والود والمحبة التى لا نهاية لها .

ـ ان الموحدين ينظرون الى يسوع باعتباره واحدا من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر . انه لو كان الها فان المثل الذى ضربه لنا بعيشته الفاضلة يفقد كل ذرة من القيمة ، حيث انه يمتلك قوى لا نملكها . ان الانسان لا يستطيع تقليد الاله » .

*

وجدير بالذكر ـ هنا ـ ما قاله المبشر ستيفن نيل ، فى معرض حديثه عن تحول شعوب الفرنجة (فرنسا والمانيا) الى المسيحية :

« لقد شهدت نهاية القرن الخامس فى فرنسا حادثا اعترف بحق انه احدى نقط التحول فى التاريخ المسيحى ، الا وهو تعميد كلوفيس ملك الفرنجة مسيحيا ·

لقد تعمد يوم عيد الميلاد عام ٤٩٦ ومعه ثلاثة آلاف من مقاتليه · لقد كان غالبية البرابرة الذين تحولوا الى المسيحية على مذهب آريوس ·

كذلك فان بعض الغزاة (من الهون والقوط) قد اصبحوا مسيحيين قبل دخولهم الامبراطورية الرومانية ، على الرغم من ان اكثريتهم قد أعلنت ايمانهم بالصيغة الآريوسية للعقيدة المسيحية »(١١) ·

وهكذا ، كانت الآريوسية هى السائدة ، وكان توحيد الله ، وعدم الخلط بينه ـ سبحانه ـ وبين المسيح الانسان المخلوق ، هو مدخل شعوب الشرق والغرب الى المسيحية ·

* *

محاولات اليوم :

سبق ان ذكرنا ما قالته دائرة المعارف الأمريكية من ان : عقيدة التثليث لم تعكس بدقة التعليم المسيحى الأول ، بل كانت انحرافا عن هذا التعليم ·

ولقد كان هذا القول الخطير حافزا لاختيار عنوان هذا الفصل وهو : « محاولات لتصحيح المسار » ، الذى انحرف عن استقامته واعوج ، فصار طرقا ومتاهات شتى ·

ان هذه المحاولات لم تنقطع عبر التاريخ ـ كما رأينا ـ ، وهى مستمرة الى اليوم ، كما يتجلى ذلك فى ابحاث العلماء ودراساتهم واحاديثهم التى تدعو الى اعادة النظر فيما توارثه المسيحيون من معتقدات ، وتقرر صراحة وجوب عدم الخلط بين الله وبين المسيح ·

ونشير فيما يلى الى بعض من هذه المحاولات ·

*

(١١) — Stephen Neill : A History of Christian Missions, Pelican Books, London, pp. 58 - 60 .

اشترك سبعة من علماء اللاهوت والأساتذة المتخصصين فى دراسات العهد الجديد ، فى كتاب بعنوان : « اسطورة الاله المتجسد » صدرت طبعته الأولى فى لندن عام ١٩٧٧ ، وطبعته الخامسة عام ١٩٧٨ ، وهم :

دون كيوبت : جامعة كمبردج .

ميخائيل جولدر ، وجون هك ، وفرانسس يونج : جامعة برمنجهام .

لزلى هولدن : جامعة لندن .

دنيس نينهام ، وموريس ويلز : جامعة أوكسفورد .

ان مضمون الكتاب يقرأ من عنوانه ، ويكفينا فى هذا الحيز المحدود أن نقتبس بعض ما جاء فى مقدمته ، وهى تتحدث عن تطور المسيحية الغربية فى مواجهة معارف الانسان الحديثة منذ القرن التاسع عشر ، فتقول : « **انها قبلت التسليم بأن اسفار الكتاب المقدس كتبها مجموعة من البشر فى ظروف متنوعة ولا يمكن الموافقة على اعتبار الفاظها تنزيلا الهيا** .

ان المعارف الانسانية مستمرة فى النمو بمعدل متزايد ، كما أن الضغط على المسيحية يقوى أبدا بما يجعلها تكيف نفسها لتصير شيئا يمكن الايمان به ، ايمان اهل الفكر الواعى والاخلاص ، اولئك الذين جذبتهم اليها بعمق شخصية يسوع وما تلقيه تعاليمه من اضواء على معنى حياة الانسان .

ان المشتركين فى هذا الكتاب مقتنعون ان تطورا لاهوتيا آخر لا بد منه فى هذا الجزء الأخير من القرن العشرين .

وتنبع الحاجة اليه من تطور معرفتنا بمصادر المسيحية . ويتضمن ذلك اعترافا ان يسوع كان ، كما يقدمه لنا سفر أعمال الرسل ٢:٢١(١٢) : **رجل قد تبرهن من قبل الله ، لأداء دور معين خلال هدف الهى ، وان التصور الذى لحق به اخيرا باعتباره الاله المتجسد ، والاقنوم الثانى من الثالث المقدس الذى عاش حياة البشر ، ان كل ذلك الا اسلوب اسطورى او شاعرى للتعبير عما يعنيه بالنسبة لنا .**

ان هذا الاعتراف أصبح لازما لصالح الحقيقة ...

---

(١٢) يقصد هنا ما قاله بطرس : « أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال . يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله (a man approved of God) بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم تعلمون » .

ولنقلها الآن : ان املنا هو تنقية الحديث عن الله وعن يسوع من الخلط والتشويش ، وبذلك يتحرر الناس لخدمة الله فى طريق المسيحية باستقامة وكمال » .

*

كذلك ، اجرى التليفزيون الانجليزى ، فى ابريل ١٩٨٤ ، مقابلة فى برنامج دينى اسبوعى ، مع الاسقف دافيد جنكنز ـ الذى يحتل المرتبة الرابعة فى قائمة كبار اساقفة الكنيسة الانجليزية وعددهم ٣٩ اسقفا ، وهو استاذ للاهوت والدراسات الدينية بجامعة ليدز ـ بين فيه ان اهم المعتقدات المسيحية مثل : القول بالوهية المسيح ، والاعتقاد فى قيامته من الأموات ، لم تعد حقائق مسلما بها . ذلك ان بعض الأحداث الخاصة برسالة يسوع « لم تكن حقائق مقطوعا بصحتها ، لكنها اضيفت الى قصة يسوع بواسطة المسيحيين الأوائل للتعبير عن ايمانهم به كمسيا »(١٣).

وفى ١٩٨٤/٦/٢٥ قامت صحيفة ديلى نيوز بنشر تحقيق صحفى عن نتيجة استطلاع للراى ، شمل ٣١ اسقفا انجليزيا ، حول معتقدات الأسقف جنكنز . وكانت النتيجة تمثل صدمة لمعتقدات الراى العام فى المسيح وفى اساسيات المسيحية ، كما جاء فى العنوان الذى وضعته الصحيفة لهذا الموضوع ، وجاء فيه :

« استبيان لآراء الأساقفة الانجليكانيين يصيبنا بصدمة :

ان أكثر من نصف اساقفة انجلترا الانجليكانيين يقولون انه ليس لزاما على المسيحيين ان يعتقدوا بان يسوع المسيح كان الها(١٤) وذلك وفق استبيان للآراء نشر اليوم .

ان نتيجة استطلاع رأى ٣١ اسقفا من اساقفة انجلترا البالغ عددهم ٣٩ ، تبين ان كثيرا منهم يعتقدون بان معجزات المسيح ربما لا تكون قد حدثت بتمامها حسبما تصفها الأناجيل .

---

(١٣) « were not strictly true but were added to the story of Jesus by the early Christians to express their faith in him as a Messiah » .

(London Daily Mail, p. 12, 15/7/1984)

(١٤) « More than half of England's Anglican bishops say Christians are not obliged to believe that Jesus Christ was God » .

لقد اصر ١١ فقط من الاساقفة على القول بانه يجب على المسيحيين ان يعتبروا المسيح الها وانسانا معا ، بينما قال ١٩ منهم بانه كان كافيا ان ينظر الى يسوع باعتباره : الوكيل الاعلى لله .

وفى الاستطلاع ، قال ١٥ اسقفا ان المعجزات المذكورة فى العهد الجديد كانت اضافات الحقت بقصة يسوع فيما بعد »(١٥) .

*

اما بعد . .

لقد جاء فى ختام موعظة الجبل ، على لسان المسيح ، نذيره الشديد لاولئك المسيحيين الذى صنعوا معجزات ، وشفوا مرضى وادهشوا الناس باعاجيبهم ، كل ذلك كان باسم المسيح ، ومع ذلك فانه سوف يتبرا منهم يوم القيامة ، ويلعنهم لعنا كبيرا :

« كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم ، يارب ، يارب . اليس باسمك تنبانا ، وباسمك اخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ اصرح لهم : انى لم اعرفكم قط . اذهبوا عنى يافاعلى الاثم ـ متى ٧ : ٢٢ـ٢٣ » .

لقد علم المسيح تلاميذه ان يدعوه : معلما وسيدا ، ولا شىء اكثر من ذلك :

« انتم تدعوننى معلما وسيدا ، وحسنا تقولون لانى انا كذلك ـ يوحنا ١٣ : ١٣ » .

ان اولئك الذين جعلوه الها ، او تجراوا كثيرا على الحق وقالوا : هو الله ، قد نسوا اقوال المسيح فى الانجيل ، ومنها :

« ليس عبد اعظم من سيده ، ولا رسول اعظم من مرسله ـ يوحنا ١٣ : ١٦ » .

وقال : « تعليمى ليس لى بل للذى ارسلنى ـ يوحنا ٧ : ١٦ » .

---

(١٥) « Only 11 of the bishops insisted that Christians must regard christ as both God and man while 19 said it was sufficient to regard Jesus as : God's supreme agent .

In the poll, 15 bishops said miracles in the New Testament were later additions to the story of Jesus ».

(DAILY NEWS , 25/6/1984) .

وان الله : « اعظم منى ـ يوحنا ١٤ : ٢٨ » .

وقال : « انا لا اقدر ان افعل من نفسى شيئا ـ يوحنا ٥ : ٣٠ »

وقال : « اما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما احد ، ولا الملائكة الذين فى السماء ، ولا الابن ، الا الآب ـ مرقس ١٣ : ٣٢ » .

واخيرا قول الانجيل عن المسيح : « ولم يقدر ان يصنع هناك ولا قوة واحدة ـ مرقس ٦ : ٤ ـ ٥ » .

ان اولئكم الذين يتبرأ منهم المسيح ، هم كل اولئكم الذين خلطوا بينه وبين الله .

ان الأمر واضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ، وما كان فى حاجة الى بحوث عميقة ودراسات مستفيضة كتلك التى جاءت فى كتاب : « اسطورة الاله المتجسد » فالنتيجة التى انتهت اليها ابحاث العلماء السبعة ، هى عين ما استفتحوا به كتابهم حين قالوا :

« ان املنا هو تنقية الحديث عن الله وعن يسوع من الخلط والتشويش ، وبذلك يتحرر الناس لخدمة الله » .

*

ان الأمر واضح تماما وضوح كلمات الحق على لسان اشعياء :

« انا الرب وليس آخر . لا اله سواى
قبلى لم يصور اله ، وبعدى لا يكون .. انا الله »

وحتى لا يكون هناك حجة للانسان مهما تدنى حظه من الفهم والتدبر ، فقد جاءه الحق ، وحيا صريحا من الله لموسى ، يقول :

« حى انا الى الأبد »

فاين هذا من الذين يقولون بموت الاله ؟ !

*

« فذلكم الله ربكم الحق
فماذا بعد الحق الا الضلال
فانى تصرفون »

* * *

خاتمة

اليـوم : قال آبـاء الكنيسة
فى كتابهـم المقـدس

اما وقد جاء هذا الكتاب الى نهايته ، وبعد أن عرضنا امثلة لاختلاف تراجم الكتاب المقدس فى الفاظ وعبارات حاكمة تتعلق باساسيات العقيدة ومفاهيمها ، اصبح لزاما علينا الآن أن نذكر خلاصة ما قاله آباء الكنيسة فى كتابهم المقدس مستخدمين نفس الألفاظ والتعابير التى صدرت عنهم ، دون تدخـل الا فى اختيار عناوين تلك المقولات ، او للتعليق عليها اذا تطلب الأمر .

*

الصورة العامة للكتاب المقدس :

أسفار الكتاب المقدس هى عمل مؤلفين ومحررين ظل عدد كبير منهم مجهـولا .

* *

العهـد القـديم :

ـ ليس العهد القديم كل الأدب الذى صدر عن الشعب العبرانى .

ـ يجمع تحت اسم : « القانونية الثانية » عدة اسفار مختلفة التواريخ والفنون ، كان انتماؤهم الى « قانون » (قائمة رسمية) الأسفار المقدسة موضوع جدال على مر العصور .

*

حقيقة مؤلفات العهد القديم :

التوراة (أسفار موسى الخمسة) : ما من عالم كاثوليكى فى عصرنا يعتقـد أن موسى ذاته قد كتب كل البانتاتيك (الأسفار الخمسة) منذ قصـة الخلق الى قصة موته .

ـ سفر الأحبار (اللاويين) : يتعذر أن ينسب الى موسى نفسـه نصه الأخير .

ـ سفر تثنية الاشتراع : قد راى مؤلف سفر تثنية الاشتراع كى يحفظ ايمان معاصريه ، ان يعتمد على سلطة موسى . لقد وضع الكلام على لسان موسى .

ـ سفر يشوع : ان المؤلف المقدس الذى نجهل اسمه وعصره ، كان يقصد ان يظهر هذا الفتح كعمل عظيم يعود الفضل فيه الى العناية الالهية .

ـ سفر راعوث : من المحتمل ان يكون الكاتب قد استعان فى البدء بذكريات تقليدية ، ثم اضاف اليها عددا من التفاصيل ليجعل الرواية اكثر حياة .

ـ سفر اخبار الايام : نتحقق من استعمال اسفار صموئيل والملوك . ويضيف اليها المؤلف تفاصيل عديدة وفقا لمقصده الخاص .

ـ سفر طوبيا : من المتعذر عمليا ان نضع تفاصيل هذه الحكاية فى نطاق تاريخى معروف .

ـ سفر يهوديت : هذا السفر حديث التاليف ، اما صفته التاريخية فاثباتها صعب جدا . ان عمل يهوديت هذا لا ينسجم مع اخلاقنا المسيحية .

ـ سفر الامثال : يستحيل تحديد اصل هذه المجموعات ، حتى المسندة الى سليمان .

ـ سفر الجامعة : يبدو انه استوحى مواضيع من اصل اغريقى .

ـ سفر نشيد الاناشيد : هو قصيدة ذات معنى علمانى قد نظمت لتنشد مثلا فى الاعراس . لا يقرا نشيد الاناشيد الا القليل من المؤمنين لانه لا يلائمهم .

ـ سفر الحكمة : ان هوية المؤلف مجهولة . وانتحاله شخص سليمان وتوجيهه الكلام بهذه الصفة الى الملوك هو نوع من الصور الوهمية المقبولة آنذاك .

ـ سفراشعيا : ان عددا متزايدا من الشراح الكاثوليك يعتبرون اليوم ان عمل اشعيا قد تابعه انبياء آخرون لكنهم لم يخلفوا لنا اسماءهم .

ـ سفر ارميا : كان يملى على باروخ كاتم سره ، ويذكر باروخ انه اضاف كثيرا من الاقوال المماثلة .

ـ سفر دانيال : ان مؤلفا لم يترك لنا اسمه قد ضم الى هذه الصورة الشهيرة عن الماضى عدة رؤى ذات انشاء روائى .

نصوص العهد القديم :

ـ لدينا شواهد وفيرة تبين ان الكتبة قد غيروا بقصد او بدون قصد فى الوثائق والأسفار التى كان عملهم الرئيسى هو كتابتها او نقلها .

ـ كان يحدث أحيانا أن بعض المواد التى كتبت على هامش النص تضاف اليه .

ـ لا شك أن هناك عددا من النصوص المشوهة .

ـ الجدير بالذكر أن بعض النساخ الأتقياء (!) اقدموا بادخال تصحيحات لاهوتية على تحسين بعض التعابير التى كانت تبدو لهم معرضة لتفسير عقائدى خطر .

ـ لم يتردد بعض النقاد فى تصحيح النص المسورى (العبرى الحديث) كلما لم يعجبهم لاعتبار ادبى او لاعتبار لاهوتى .

ـ الحل العلمى الحقيقى (لمشكلة النص) يفرض علينا ان نعامل الكتاب المقدس . كما نعامل جميع مؤلفات الحضارة القديمة .

**

العهد الجديد :

ـ لم تكن غاية المسيحيين الأوائل أن يؤلفوا ملحقا بالكتاب المقدس، ولم تجر العادة أن يطلق على هذه المجموعة عبارة العهد الجديد الا فى اواخر القرن الثانى .

ـ لم تندرج كلمة قانون (بمعنى جدول رسمى للاسفار التى تعدها الكنيسة ملزمة وشرعية) بهذا المعنى فى الأدب المسيحى الا منذ القرن الرابع .

ـ كان هناك عدد كبير من المؤلفات الحائرة يذكرها بعض الآباء كاسفار قانونية بينما يعتبرها الآخرون مفيدة للمطالعة ، مثل : الرسالة الى العبرانيين ، والرسالة الثانية لبطرس ، ورسالة يعقوب ، ورسالة يهوذا .

ـ هناك كتب عوملت كجزء من الكتاب المقدس ثم اخرجت بعد ذلك ، مثل : رسالة برنابا ، والراعى لهرمس ، ورؤيا بطرس .

ـ كانت الرسالة الى العبرانيين ورؤيا يوحنا موضوع اشد المنازعات .

*

الاناجيـــل :

ـ ان القارىء العصرى يقع فى حيرة امام تلك المؤلفات التى تبدو له مفككة ويستحيل التغلب على تناقضاتها .

ـ لقد جمع الانجيليون ودونوا وفقا لنظراتهم الخاصة .

ـ ان مضمون الاناجيل لا يمكن ان يحقق كله تاريخيا .

ـ ليس هناك شهادة قبل السنة ١٤٠ تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الانجيلية المكتوبة ، ولا لمؤلف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم .

ـ يمكن القول ان الاناجيل الاربعة حظيت نحو السنة ١٧٠ بمقام الادب القانونى وان لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين .

*

انجيـــل متى :

ـ انطلق متى من مراجع يشترك فيها مع مرقس او مع لوقا ، لكن روايته تختلف كل الاختلاف عن رواية مرقس فى عدد من الموضوعات .

ـ لما كنا لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة ، يحسن بنا ان نكتفى ببعض الملامح المرسومة فى الانجيل نفسه .

*

انجيـــل مرقس :

ـ ان صلة الكتاب بتعليم بطرس امر عسير التحديد . ان عبـــارة بابياس ان مرقس كان « لسان حال بطرس » غير واضحة .

ـ هناك سؤال لم يلق جوابا : كيف كانت خاتمة الكتاب ؟

ـ كتاب مرقس هو أول نموذج معروف للفن الأدبى المسمى انجيـلا .

*

انجيـــل لوقا :

استعمل لوقا فى انجيله كثيرا من المواد المشتركة بينه وبين متى ومرقس ، وقد قام لوقا بجهد كبير فى معالجته للمواد التى تلقاهـا من التقليـد .

*

انجيل يوحنا :

ـ نحن نرى فى الانجيل الرابع سلسلة احداث لم ترتب ترتيبـا دقيقـا .

ـ هناك فوارق جغرافية وزمنية بالنسبة للأحداث بينه وبين الأناجيل الازائية (المتشابهة) .

ـ من المرجح ان الانجيل كما هو بين ايدينا اصدره بعض تلاميذ المؤلف فاضافوا عليه الفصـل الأخير . ولا شك انهم أضافوا بعض التعليقات.

اما رواية المراة الزانية فهناك اجماع على انها من مرجع مجهول .

ـ اما المؤلف وتاريخ وضع الانجيل الرابع فلسنا نجد فى المؤلف اى دليل واضح عليهـا .

هناك من يقول : يوحنا الرسول ، وآخرون قالوا : يوحنا القديم .

*

سفر اعمال الرسـل :

ـ لا شك ان واضع سفر اعمال الرسل قد استعمل بعض المراجـع.

ـ قد يكتشف النقد بعض آثار التنافر فى الروايات ، ويبدو انهـا صادرة اما عن ارتياب او نقص فى ما لدى المؤلف من الأخبار ، واما عن قصد حمله على تحوير او تفسير الأخبار التى حصل عليها .

ـ ان تاريخية الخطب فى سفر اعمال الرسل تطرح مسائل اشـد تعقدا من الأعمال الروائية .

ـ من هو المؤلف ؟

اقل ما يقال : ان اقتراح اسم لوقا قابل للبحث .

*

نصوص العهد الجديد :

ـ ان نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت · وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء ·

ـ ان ما ادخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر ، فكان النص الذى وصل آخر الأمر الى عهد الطباعة مثقلا بمختلف الوان التبديل التى ظهرت فى عدد كبير من القراءات ·

ـ كان الآباء ، لسوء طالعنا ، يستشهدون به فى اغلب الأحيان عن ظهر قلبهم (من الذاكرة) ومن غير أن يراعوا الدقة مراعاة كبيرة ، فلا يمكننا والحالة هذه الوثوق التام فى ما ينقلون الينا ·

ـ لا يرجى فى حال من الأحوال الوصول الى الأصل نفسه ·

ـ بوسعنا اليوم أن نعد نص العهد الجديد نصا مثبتا اثباتا حسنا ، وما من داع الى اعادة النظر فيه الا اذا عثر على وثائق جديدة !!

***

لسنا فى حاجة ـ بعد هذا الذى قاله آباء الكنيسة فى كتابهم المقدس ـ الى القول بأن أسفاره ليست سوى اعمال ادبية ، حررها مؤلفون اغلبهم مجهول الأصل والهوية · وهى ككل عمل ادبى يأتى نتيجة لمجهودات البشر ، تضم بين جنباتها هذا ، وذاك ···

ان هذه الأسفار فيها بقية من حق انزله الله ···

كما ان فيها · غير الحق ، من صنع البشر ·

« كيف تقولون : نحن حكماء وشريعة الرب معنا ؟ !

حقا انه الى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب ···

اما وحى الرب فلا تذكروه بعد ···

اذ قد حرفتم كلام الاله الحى ـ ارميا ٨ : ٨ ، ٢٣ : ٣٦ » ·

* * *

ومنذ ١٤ قرنـا قـال القـــرآن ...

خير الكلام ما قل ودل ..
تلك حكمة عقلها الناس عبر مختلف القرون والثقافات ..

لقد راينا حقيقة الموقف الآن ، بعـــد ان قامت السلطات الدينيـة المسيحية باتخاذ خطوة حاسمة فى طريق الوصول الى الحقيقة ، وذلـك بتعريف الناس بحقيقة اسفارها المقدسة .

ان اهمية هذا العمل تكمن فى انه يعبر عن رأىالكنيسة ، فيحسم بذلك مواقف من الجدل العقيم واللجاجة فى الحوار الذى يدور هنا وهنـاك بين افراد وجماعات ، من المؤكد ان كثيرا منهم لا يعلمون من هذا الأمـر شيئـا .

*

واذا كان هذا هو ما آلت اليه آراء الذين اوتوا العلم من «اهل الكتاب» فى كتابهم المقدس ، فماذا قال القرآن منذ ١٤ قرنا ؟

لقد قال فى الذين استحفظوا على كتاب الله ولم يراعوا آماناتهم وعهدهم :

« يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا بـه » .
(المائدة : ١٣)

الحق انها لمعجزة لمن لا يزال يطلب المعجزات سبيلا للايمان بالله الواحد الاحد .

ان **« المدخل الى العهد الجديد »** لم يجد كلمة غير **« التحريف »** يصف بها ما اصاب نصوصه التى بين ايدى الناس . وهو ما تبينه الصورة الزنكغرافية المنشورة فى الصفحة التالية .

وبين القرآن ان منهم من كان يضيف الى كلام الله وينقص منـه ما شاء له هواه ، ولقد راينا ذلك راى العين :

« فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت ايديهم ، وويل لهم مما يكسبون »
(البقرة : ٧٩)

« وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »

(آل عمران : ٧٨)

ومنهم من كتب الكلام المقدس حسب ظنه ، دون تثبت ويقين .

« وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » .. (النجم : ٢٨) .

« ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني ، وان هم الا يظنون ».

(البقرة : ٧٨)

مدخل الى العهد الجديد ١٠

وهذا النقد الاول الذي يقال له النقد الخارجي غير كاف . فكثيرًا ما يؤول هذا النقد الى الوقوف على فقرة لما في القرن الثاني او الثالث روايتان اتشرتا قليلاً او كثيرًا . ومن العسير اختيار احداهما . فلا بد من اللجوء الى النقد الباطني.

فهو ينظر الى القراءات نظره الى انها تبرز امثلة مختلفة لنص العهد الجديد. بل ينظر الى كل رواية وحدها ويمحصها في حد ذاتها . لانها تَدَخُّل لا داعية له قام به الناسخ عن قصد او غير قصد

وهدف اصحاب النقد الباطني ان يوضحوا بجلاء نوع التدخل الذي قام به الناسخ والاسباب التي دعته الى ذلك التدخل فيسهل بعد ذلك الارتقاء الى القراءة القديمة التي تفرعت منها سائر الروايات المحرّفة . ولا يحسن استعمال النقد الباطني وحده ، لانه مرهون برأي الناقد . ولذلك جرت العادة الا يستعمل النقد الباطني إلاّ وسيلة متمّمة للنقد الخارجي. ومهما يكن من أمر ، فان النتائج التي حصل عليها علماء نقد النصوص منذ ١٥٠ سنة جديرة بالاعجاب ويوسعنا اليوم ان نعد نص العهد الجديد نصًا مثبتًا اثباتًا حسنًا . وما من داعٍ الى اعادة النظر فيه الا اذا عُثر على وثائق جديدة .

ويحضرنا فى هذه الحالة ما يقوله « المدخل الى اعمال الرسل » حيث نقرأ فيه هذا التطابق العجيب :

« قد يكتشف هذا النقد ، هنا وهناك ، بعض آثار التنافر أو التوتر فى الروايات ، ويبدو أنها صادرة ، اما عن ارتياب او نقص فى ما لدى المؤلف من الأخبار ، واما عن قصد حمله على تحوير او تفسير الأخبار التى حصل عليها من المراجع » .

*

من اجل ذلك ، وغيره كثير ، وحتى يستبين الناس حقيقة ما انزل الله من كتاب ، فقد تداركت رحمة الله البشر جميعا فانزل اليهم كتابه الخاتم يخاطب فيه اهل الكتاب ، ويقول :

« يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ٠

يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » ٠

(المائدة : ١٥ ـ ١٦)

« لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح : يابنى اسرائيل ، اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وما للظالمين من انصار ٠

لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم » ٠

(المائدة : ٧٢ ـ ٧٣) ٠

ويحضرنا فى هذا المقام تطابق ذلك مع الحوار بين احد الكتبة والمسيح حين سأله :

« اية وصية هى اول الكل ؟

فاجابه يسوع : ان أول كل الوصايا هى اسمع يا اسرائيل :

الرب الهنا رب واحد ٠

وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ٠ **هذه هى الوصية الأولى ٠٠**

فقال له الكاتب : جيدا يا معلم ٠ بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ٠٠

فلما رآه يسوع انه اجاب بعقل قال له : **لست بعيدا عن ملكوت الله** ـ مرقس ١٢ : ٢٨ ـ ٣٤ »

واخيرا ، نذكر قول « الحق » فى شان الذين اوصلوا « الكتاب المقدس » الى هذا الحال :

« قل : يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل ، واضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل ».
(المائدة : ٧٧)

***

ان هذه « الخاتمة » او الفصل الاخير من هذا الكتاب ، يعتبر نقطة بدء ينطلق منها كل حوار بين المسيحية والاسلام .

حوار يسلك سبيل العلم والتعقل والحكمة والموعظة الحسنة ، ويناى بعيدا عن متاهات الظنون والتقاليد المتوارثة .

لقد كان مما اختتم به اجناثيونايت الاستاذ بالجامعة المركزية بمدريد ـ بحثه الذى القاه فى المؤتمر الثانى للحوار الاسلامى المسيحى بقرطبة ، قوله : « مع النظر فيما يجمع بيننا ، نتساءل : أليس الاله واحدا ؟ !

اما فيما يتعلق بالأنبياء فهم مشتركون : محمد وموسى وعيسى ».

ونحن نقول له : بلى . ان الاله واحد .

فجوهر الحقيقة هو :

لا اله الا الله

محمد وموسى وعيسى ، كل منهم رسول الله .

لقد علمنا القرآن ـ ياسيدى الاستاذ ـ ان نجيب على مثل تساؤلكم هذا بالقول الحق :

« آمنا بالذى انزل الينا ، وانزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون » . (العنكبوت : ٤٦)

* * *